

**توظيف الإعجاز العلمي في تفسير القرآن الكريم في تفسير**

**(زهرة التفاسير) للشيخ محمد أبو زهرة**

**(خلق الكون والنفس الإنسانية نموذجاً)**

**Employing Scientific Miracles in the  
Interpretation of the Noble Qur'an in the  
interpretation of (Zahrat al-Tafasir) by  
Sheikh Muhammad Abu Zahra**

**أ.م.د. حسام محمد جمعة**

**Asst. Prof. Dr. Hossam Mohamed Gomaa**

**كلية الإمام الأعظم**

**College of the Imam Adham**

**E-mail: [ALsamrae28@Gmail.com](mailto:ALsamrae28@Gmail.com)**

**الكلمات المفتاحية: الإعجاز، الكون، النفس الإنسانية.**

**Keywords: scientific miracle, the creation of the universe, the human soul.**





## الملخص

حوى القرآن الكريم جملةً وافرةً من العلوم الشرعية والدينية، فجاءة آياته في منهج متكامل لحياة الإنسان في مختلف الشؤون والنواحي، وإلى جانب ذلك اشتمل الهدي القرآني على معطيات علمية توضح القدرة الإلهية في الخلق والإنتقان، وتسلك بالإنسان الكافر سبيل الإقناع والإعجاز وبالمؤمن سبيل اليقين والثبات.

ولقد لفت القرآن الكريم أنظار البشر إلى إبداع خلقه سبحانه وتعالى، وأمرهم بالتفكير في هذا الخلق العظيم، ومن هنا كان للإعجاز العلمي دورٌ لافت في إيضاح معاني الآيات القرآنية التي اشتملت على حقائق علمية اكتشفها العلم الحديث بعد سبق القرآن الكريم إلى ذكرها وإيضاحها.

ولقد حاول المعاصرون من أهل العلم ومفسري القرآن الكريم البحث عن المطابقات العلمية بين الآيات القرآنية ومعطيات العلوم الحديثة، كالفلك والطب وغيرهما، وإيضاح السبق القرآني لإبراز هذه الحقائق، فاهتمت بعض تقاسير القرآن الكريم على بعض النواحي والأفكار التي ركزت على مكتشفات العلوم الحديثة فيما عُرف بعد ذلك بـ (الإعجاز العلمي).

## Abstract

The Holy Qur'an contains an abundant number of legal and religious sciences, and its verses were available on an integrated organization of human life in various affairs and aspects. In addition to that, the Qur'anic guidance included scientific data that illustrate the divine power in creation and mastery, and the unbeliever takes the path of persuasion and miraculousness, and the believer the path of certainty and steadfastness.

The Holy Qur'an drew people's attention to the creativity of His creation, Glory be to Him, and commanded them to reflect on this great creation. Hence, the scientific miracle played a remarkable role in clarifying the meanings of the Qur'anic verses, which included scientific facts discovered by modern science after the Holy Qur'an mentioned and clarified them.

Contemporary scholars and interpreters of the Holy Qur'an tried to search for scientific correspondences between the Qur'anic verses and the data of modern sciences, such as astronomy, medicine, and others, and to clarify the Qur'anic precedence to highlight these facts. (Scientific Miracles).

## أولاً: المقدمة:

شكّل القرآن الكريم منذ بداية نزوله أعظم وثيقة إلهية تلقّاها البشر على مرّ التاريخ، إذ احتوى في طياته الجوانب المنظمة للحياة البشرية بشؤونها كافة، واشتمل على أعظم مدوّنة من الأخلاق والتشريعات، والتي تضبط سلوك الأفراد والجماعات وتحدد أنماط حياتهم وتغذيهم روحياً وعقلياً.

ولقد جاءت كثيرٌ من آيات هذا الكتاب العظيم مشتملةً على لفتات قيّمة في الخلق والإبداع الإلهي، أمره الخلق بالتفكير والاعتبار والنظر العقلي الذي يبني الإيمان القويم بالدليل العقلي الصحيح والمنطق الصريح.

ولقد استطاع ذوو الألباب من أهل العلم والمعرفة أن يستنبطوا من هذه الآيات حقائق علمية مهمة، في سياق الاستدلال على قضايا الخلق والإبداع الإلهي، وإبراز معالم العظمة الدالة على القدرة الإلهية في خلقه سبحانه، كل ذلك فيما غدا يُعرف بالإعجاز العلمي.

ولقد خاض مفسرو القرآن الكريم - في العصر الحديث - غمار الآيات القرآنية التي تحمل في طياتها دلالات الإعجاز العلمي، ووصلوا إلى تطابقات علمية دقيقة بين معطيات القرآن الكريم واكتشافات العلوم الحديثة في كثيرٍ من المجالات، فصار هذا النوع من التفسير للآيات مرجعاً للدارسين بما يحويه من حقائق ودقائق علمية، وصار كذلك ملهماً لهم لإعداد بحوث ودراسات جديدة تبين احتواء القرآن الكريم على كنوز معرفية دون تطويع النص القرآني لما يريدون من معاني أو لما يبرز من مكتشفات علمية.

ولقد كان الشيخ (محمد أبو زهرة) أحد هؤلاء الأعلام الذين كان لهم رؤية علمية واضحة في هذه الآيات، من حيث تفسيرها من ناحية أولى، أو شروط قبول أحد التفسيرات المشتهرة على الألسن من ناحية ثانية، فجاءت رؤيته منهجاً وسطاً بين المغالين في الاعتداد بالتفسير المتوافق مع الإعجاز العلمي وبين المفرّطين في هذا النوع من التفسير، بأن اشترط شروطاً لقبول تفسير آية ما على أنه تفسير للآية بالإعجاز العلمي.

من هنا أردت القيام بهذا البحث الذي يوضح منهج الشيخ (محمد أبو زهرة) في تفسيره للآيات التي تتضمن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وكيفية توظيف هذه المعاني الإعجازية في فهم النص القرآني، وشروطه في قبول هذا النوع من التفسير في قضيتين اثنتين هما خلق الكون والنفس الإنسانية.



### ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتحدد أهمية الموضوع في الدور المهم الذي يقوم به الإعجاز العلمي في بيان المعاني القرآنية، ومدى مطابقتها مع معطيات العلم الحديث، كما تتحدد أيضاً في الآلية العلمية والشروط التي اشترطها المفسرون في قبول هذا النوع من التفسير، وكيفية استخدام هذا اللون من التفسير في فهم الآيات القرآنية.

وأما أسباب اختياره فهي كالتالي:

١- الكشف عن شروط قبول تفسير الآيات بالإعجاز العلمي، والتي اشترطها الشيخ محمد أبو زهرة.

٢- بيان كيفية توظيف الشيخ محمد أبو زهرة للإعجاز العلمي في تفسير القرآن الكريم.

٣- إيضاح المنهج الذي سلكه الشيخ محمد أبو زهرة في تفسير الآيات بالإعجاز العلمي، وذلك ضمن أهم محورين يدور حولهما الإعجاز العلمي (خلق الكون) و(النفس الإنسانية).

### ثالثاً: الدراسات السابقة:

توفّرت بعض الدراسات حول الشيخ محمد أبو زهرة ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، منها ما يأتي:

- محمد أبو زهرة ومنهجه في تفسيره (زهرة التفاسير)، تأليف: أمل الزويدي، وهي رسالة ماجستير قُدمت في كلية الآداب في الجامعة الإسلامية ببغداد سنة ٢٠٠٨م.

- التجديد في التفسير عند الشيخ محمد أبي زهرة، تأليف: د. عبد العزيز بن صالح الخزيم، وهو بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور سنة ٢٠١٩م.

- منهج محمد أبي زهرة في القراءات من خلال تفسيره زهرة التفاسير، تأليف: محمد عبد الخالق حسن، وهو بحث منشور في مجلة الدراسات القرآنية

وهذه الدراسات كلّها دراسات قيمة، وتناولت نواحٍ مهمة من منهج الشيخ محمد أبي زهرة، لكنها لم تتحدث عن الزاوية التي سيتناولها هذا البحث، وهي توظيف الإعجاز العلمي في تفسير القرآن الكريم عند الشيخ محمد أبي زهرة.

### رابعاً: المشكلة العلمية:

تتحدد مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

- ما المقصود بالإعجاز العلمي ضمن المنظومة العامة لتفسير القرآن الكريم؟
- هل اعتمد الشيخ محمد أبو زهرة الإعجاز العلمي في بيان معاني بعض الآيات الكريمة؟ وما هي شروطه في ذلك؟
- كيف وظّف الشيخ محمد أبو زهرة هذا العلم في تفسير القرآن الكريم؟

### خامساً: منهج البحث:

سوف يقوم البحث على ركيزتين منهجيتين هما الاستقراء والتحليل: أما الاستقراء فبالرجوع إلى تفسير (زهرة التفاسير)، واستقراء نماذج من التفسيرات التي سلك الشيخ (محمد أبو زهرة) في بيانها مسلك الإعجاز العلمي، وأما التحليل فببيان آلية تفسيره لهذه الآيات وشروطه التي اعتمدها لقبول التفسير بالإعجاز العلمي.

### سادساً: خطة البحث:

جاءت خطة البحث مقسمة إلى تمهيد ومبحثين على الشكل الآتي:

التمهيد: (ترجمة الشيخ محمد أبو زهرة ومنهجه في تفسيره "زهرة التفاسير").

المبحث الأول: الإعجاز العلمي في خلق الكون.

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في النفس الإنسانية.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

التمهيد: (ترجمة الشيخ محمد أبو زهرة ومنهجه في تفسيره "زهرة التفاسير").

### أولاً: حياة الشيخ محمد أبي زهرة:

هو الشيخ محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة، ولد بمدينة (المحلة الكبرى) في مصر سنة ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م، وهي مدينة تحتوي عدداً كبيراً من المنشآت الدينية الأثرية لا سيما المساجد، وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته فقال: "وهي جليلة المقدار حسنة الآثار، كثير أهلها، جامع بالمحاسن شملها". ( ابن بطوطة، ١٣٢٢هـ، ص ١٢).

ينتسب الشيخ محمد أبو زهرة إلى ولي من أولياء الله، هو الشيخ مصطفى أبو زهرة الشهير (بالشتاوي)، الذي يزار ضريحه بمسجده ببلدة شيشتا في مدينة المحلة الكبرى، ووالده هو الشيخ أحمد مصطفى أبو زهرة، مشهور بالصلاح والالتزام بالدين الحنيف ومكارم الأخلاق، ووالدته حافظة للقرآن الكريم، وكانت تراجع معه ما حفظ قبل الذهاب إلى الشيخ في الكتاب، وتميز عن إخوته وأخواته بحفظ القرآن الكريم، ولم يتجاوز التاسعة من العمر. (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٣/١).

وقد عُرف عن الشيخ رحمه الله في صفاته الخَلْقِيَّة أنه كان أبيض اللون، جهير الصوت، شديد الذكاء، سريع البديهة منظماً، حر الفكر، راجح العقل، شديد الإيمان بما يقول، مستقل الرأي، ويمزج في محاضراته العلم الجاد الوقور بالدعابة الحلوة الخفيفة (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٦/١)، وكان يتميز بالبشاشة وحب الفكاهة والمرح في إطار الوقار والاحترام، وكان يرفض أن يكون عالم الدين منعزلاً أو عازلاً نفسه عن الإنسانية.



وكان في منهجه العام أبعد الناس عن التزمت في فكره وأسلوبه في المناقشات، حاضراً بالحجة في كل ما يقول به أو يخالف غيره فيه، ومن ثم لم تكن سعة اطلاعه موسوعية مجردة، إنما كانت إدراكاً واسعاً يؤدي إلى دقة الحكم وإحكام النظر فيما يقول أو يريد أن يصل إليه. (عبدالرزاق، ١٩٨٥، ١١/٢-١٢).

أما صفاته الخُلُقِيَّة فقد عُرف الشيخ محمد أبو زهرة بجرأته في الحق، وشجاعته في الذود عن حياض الإسلام، واشتهر بالعزَّة وكرامة النفس، والصلابة والصدع بكلمة الحق، والذاكرة القوية، والبديهة الحاضرة، والقدرة العجيبة على التوليد والابتكار، ومقارعة الخصوم بالحجج البالغة والبراهين الساطعة والجهاد والمصابرة، والعمل الدائب لخير الإسلام والمسلمين. (العقيل، ٢٠٠٢م، ص ٥٩٤).

وكان الشيخ محمد أبي زهرة إذا تولى مناقشة الرسائل العلمية لا يعتمد على ورقة يضعها أمامه، ولا مذكرة تذكره بما نسيه، فقد أوتي ذاكرة عجيبة لا يكاد يوجد لها نظير، وكان من مظاهر ذلك أن يطلب من الطالب المناقش أن يفتح الصفحة رقم كذا، وأن يرجع إلى السطر رقم كذا، ويقول له كيف تقول الكلام الذي كتبت، ويستمر ذلك من أول الرسالة إلى آخرها (عبدالرزاق، ١٩٨٥م، ص ٣١)، كل ذلك وهو باسم الفم، حاد اللهجة، قوي النبرات، واضح العبارة، منطقي الفكر، يتحدث ناقدًا محمصاً، وأستاذًا معلماً، وعالمًا ضليعاً في علمه، حتى لكأنه دائرة معارف متخصصة في الفن الذي يريد الحديث عنه. (العقيل، ٢٠٠٢م، ص ٥٩٤)

ولقد عُرف عن الشيخ أبي زهرة أنه كان جريئاً شجاعاً، يصدع بالحق متصدياً لأصحاب الانحراف الفكري والمذاهب المستوردة وتلامذة المستشرقين، وكان أميلاً إلى الصراحة والوضوح في إبداء ما يراه، فلا يوجد عنده أنصاف حلول، والفضيلة في نظره جوهر، وكان مناظروه يخافون جدَّته بحيث كانوا لا يتمتعون بنفس المكانة العلمية الرفيعة التي كان يتمتع بها الإمام، ولأنه كان يصف الأشياء بوصفها الحقيقي بعيداً عن جميع أنواع المجاملة ولاسيما المجاملة على حساب الحق. (زقزوق، ٢٠٠٤م، ص ٩٠١-٩٠٣).

وفي صباح يوم الجمعة ١٢/٤/١٩٧٤ أنشأ الشيخ محمد أبو زهرة على نفقته الخاصة سرداقاً كبيراً في شارع العزيز بالله، أمام منزله بضاحية الزيتون، وكان ذلك لمناقشة مواضيع بخصوص تحديد النسل، وتقييد تعدد الزوجات، والطلاق في مشروع قانون الأحوال الشخصية لوزارة الشؤون الاجتماعية، وفي أثناء نزوله من منزله حاملاً القلم والمصحف مفتوحاً على آخر ما وصل إليه في التفسير، وأيضاً الورق الذي به ما كتب من التفسير تعثر وسقط ساجداً على المصحف وعلى أوراق التفسير، ثم فاضت روحه الكريمة إلى بارئها، وهكذا شاءت إرادة الله

العظيم أن يكون هذا السرداق الذي أشرف فضيلته على إقامته لمؤتمر شعبي هو سرداق العزاء للإمام. ( عبدالرزاق، ١٩٨٥م، ص ٤١).

### ثانياً مسيرته العلمية وإنتاجه العلمي:

تقدّم معنا أن الشيخ محمد أبو زهرة حفظ القرآن في سن التاسعة، وقد درس مبادئ العلوم الشرعية، والعربية والإنسانية والتجريبية، وفي عام (١٣٣١هـ-١٩١٣م) لحق بالدراسة في الجامع الأحمدى بمدينة طنطا بمحافظة الغربية، ومكث فيه ثلاثة أعوام، وفي هذه الفترة بدت عليه مظاهر النبوغ والتفوق، وفي عام (١٣٣٤هـ-١٩١٦م) التحق بالدراسة في مدرسة القضاء الشرعي وهذه المدرسة تمنح شهادة العالمية، وذلك بعد أن اجتاز امتحان مسابقة كان فيها من الأوائل، وفي هذه المدرسة بدأ نبوغه ونضجه العلمي، وقد لحظ نبوغه أساتذته فأولوه عناية واهتماماً بالغين، وامتدت دراسته فيها قرابة تسعة أعوام حتى تخرج من مدرسة (القضاء الشرعي) عام (١٣٤٤هـ-١٩٢٥م) بعد أن نال شهادة العالمية منها بدرجة (الامتياز) (زقزوق، ٢٠٠٤م، ص ٩٠١)، وطمح إلى دراسة اللغة العربية، فاتجه إلى دار العلوم لينال المعادلة سنة (١٩٢٧م)، فاجتمع له تخصصان أساسيان لا بد منهما لمن يريد التضلع في علوم الشريعة. (البيومي، ١٩٩٥، ص ٢٧٧). وعمل الشيخ أبو زهرة بالمحاماة تحت التمرين (زقزوق، ١٩٨٥م، ص ٩٠١)، ثم عُيّن مدرساً لعلوم الشريعة واللغة العربية بالمرحلة التجهيزية لدار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي وظل بها مدة ثلاثة أعوام (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٢/١)، ثم بدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين في عام (١٩٣٣م) فدرّس فيها مواد الخطابة والجدل وتاريخ الديانات، والملل والنحل (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٢/١).

وتدرّج الشيخ في مناصب التدريس في كلية أصول الدين، مدرساً فأستاذاً مساعداً فأستاذ كرسي فرئيس قسم الشريعة الذي ظل يشغله حتى بلغ السن القانونية للتقاعد عام (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

ولقد أخذ الشيخ محمد أبو زهرة العلم والخلق والفضيلة من شيوخ أجداد، وعلماء أفاض، وجّهوه إلى الخلق الكريم، والعلم الشرعي الحكيم، ومن هؤلاء (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ١/٥-٦)

- الشيخ أحمد إبراهيم بك (١٨٧٤م - ١٩٤٥م).

- عبد الوهاب عزام (١٨٩٤-١٩٥٩م).

- السنهوري (١٨٩١-١٩٧٧م).

- محمد جاد البنا (١٩٣٩-١٩٩٤م).





كما حظي بمكانة مرموقة بين الأوساط العلمية لوفرة علمه ومواقفه الشجاعة، ولذلك أقبل الطلبة والعلماء على الاهتمام بكتبه وبحوثه، والتتلمذ عليه، ومن هؤلاء الذين تتلمذوا عليه:

- زكريا البري (١٩٢١-١٩٩١م).

- محمد الغزالي السقا (١٩١٧م-١٩٩٦م).

- محمد فوزي فيض الله.

- وهبة الزحيلي.

ولقد أثرى أبو زهرة المكتبة الإسلامية، وقدم لها مجموعة ضخمة من المؤلفات والمقالات والمحاضرات، وبلغ مجموع مؤلفاته ستة وستين كتاباً وبحثاً (شبير، ٢٠٠٦، ص ٣٧)، نذكر بعضها فيما يأتي:

- تفسير (زهرة التفاسير).

- المعجزة الكبرى (القرآن).

- العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم.

- المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد.

- محاضرات في النصرانية.

- مقارنة الأديان.

- محاضرات في مصادر الفقه الإسلامي.

- تاريخ المذاهب الفقهية.

- الملكية ونظرية العقد.

- محاضرات في الوقف.

- محاضرات في عقد الزواج وآثاره.

- الميراث عند الجعفرية.

- (الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي) الجريمة.

- (الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي) العقوبة.

- فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي.

### ثالثاً: تفسير (زهرة التفاسير) ومنهج مؤلفه:

كان الشيخ محمد أبو زهرة مأسوراً بالقرآن الكريم وتفسيره منذ أن كان طالباً يتلقى العلم الشرعي، فقد قال في مقدمة تفسيره: "لقد كانت أمنيته العلمية أن أكون قريباً منه دائماً، وكنت أراجع الكتب التي تصدت للتعريف بمعانيه، موجزها ووسيطها ومبسوطها، قديمها وجديدها، مؤمناً بأن علمه هو علم الإسلام، بل هو علم النفوس البشرية، وأسرار الوجود، وأنه علم النبوة الإلهية في مختلف العصور، ولما شرفنا الله تعالى بتدريس العلوم العربية والشرعية كان أول دروسنا في تعريف معاني القرآن، فكان ذلك يمناً وبركة وإشعاعاً بتوفيق الله تعالى لنا في مستقبل أعمالنا." (شبير، ٢٠٠٦م، ص ١٨٣).

وقد دعت مجلة (لواء الإسلام) لاستكمال ما بدأه الشيخ محمد الخضر حسين التونسي من تفسير للقرآن في هذه المجلة، وكان السيد الخضر قد وصل إلى تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، واستجاب لهذه الدعوة، وقام بتفسير القرآن إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ثم حيل بينه وبين الكتابة في هذه المجلة، ووضع في نفسه أن يفسر القرآن كاملاً، فبدأ بتفسير القرآن الكريم من أوله إلى ما وصل إليه التونسي، ثم استأنف بعد ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وما بعدها (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ١/١٣)، إلى أن وصل إلى الآية (٧٣) من سورة النمل، وهي السورة التي وافاه الأجل عندها، لذا فهو لم يكمل تفسيره.

ولقد بين الشيخ أبو زهرة المنهج العام الذي اتبعه في تمهيد تفسيره فقال: "اتجهنا إلى كتابة معاني القرآن، كما ظهر لنا، وكما أدركت عقولنا، وكما بلغت طاقتنا، ولسنا منكرين لما بذله العلماء الذين خصّوا معاني القرآن بأكبر عناية، بل إننا نجد فيما كتبوا أو نقل عنهم ذخيرتنا التي ندرع بها غير مفتاتين عليهم في قول، ولا متهجمين عليهم في رأي، ومنهم من قام على الحق المبين، أو يستمد قوته من أثر عن النبي محمد ﷺ، ولا يتجافى عن النص القرآني في ظاهره ونصه، فإن جافاه حذفناه، ونظرنا في ذلك هو نظر شيخ الفقهاء أبي حنيفة النعمان، فهو لا يقدم أثراً على نص قرآني ظاهر الدلالة وهو نص فيه." (شبير، ٢٠٠٦م، ص ١٠٠)

وأبو زهرة عند تفسيره للسورة، يبدأ أولاً بذكر اسمها، وقد يبين أسباب التسمية، وقد يذكر ما في السورة من تسميات، وقد يذكر اسم آخر للسورة يستنبطه من موضوعاتها، ثم يذكر كونها (مكية) أو (مدنية)، وإذا كانت السورة تتضمن آيات تُخالف في حكمها، كونها (مكية) أو (مدنية)، فإنه يشير إليها.



وغالباً ما يذكر أبو زهرة عدد آيات السورة بعد بيانه اسمها، وفي بعض المواضع يذكر فضائل بعض السور، ويبين أيضاً ما ورد عن العلماء في آخر الآيات نزولاً، وفضائل بعض آيات السورة.

وبعد ذلك يعرض أبو زهرة تمهيداً وإشارات موجزة، تعطي للقارئ صورة لما اشتملت عليه السورة من موضوعات، ليكون بعد ذلك التفسير تفصيلاً لتلك الإشارات، ثم يعمد إلى بيان معاني السورة، ببيان معاني الألفاظ التي تضمنتها آياتها، ومن منهجه أنه غالباً ما يضع عنواناً للآيات التي تناولها بالتفسير مُستنبطاً من موضوعاتها، ثم يبدأ بتفسيرها بشكل تفصيلي مؤكداً على الوحدة الموضوعية للسورة، والتناسب بين آياتها والترابط بينها، مبيّناً أن القرآن كلٌّ لا يتجزأ، وهذا ما امتاز به تفسير ( أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ص ٢٣).

وأبو زهرة في معالجاته لموضوعات تفسيره صاحب عقلية منهجية علمية ناضجة، إذ يسوق جميع الآراء الواردة في الموضوع، ثم يرجع إلى عرض أدلتها ومناقشتها، ثم يبدأ بالاختيار والترجيح ويعرض الأدلة في ذلك، وكثيراً ما نجده يستخدم أسلوب السؤال والإجابة عنه حول الآيات القرآنية من جميع جوانبها اللغوية والفقهية والبلاغية، مما جعل تفسيره يمتاز بعنصر التشويق، الذي ينطلق من قاعدة ثابتة، هي غزارة العلم، ونضج العقل، واتزان الشخصية، وقوة الحجة والبرهان.

وتفسير زهرة التفاسير يزخر بالمسائل التربوية والاجتماعية، وبيان حكمة التشريع الإسلامي في بناء الفرد والجماعة، من أجل مجتمع إسلامي قائم على دعائم من الفضيلة والخلق الكريم، وفي تفسيره للآيات يورد ما جاء في تفسيرها من السنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ويبين أسباب النزول، والقراءات، وإعراب ما يحتاج إليه من إعراب لبيان معنى الآية، واعتنى أبو زهرة أيضاً ببيان التناسب بين الآيات في السورة الواحدة، وكذلك تناسب السورة مع التي قبلها، كما اهتم أبو زهرة كثيراً بالرد على عقيدة النصاري في قضية الصلب والتثليث، ويناقشهم بالأدلة العقلية، واهتم أيضاً ببيان تاريخ النصرانية وذكر المسار الذي انتهى بوثنيتها وانحرافها، غيرها كثير من الفوائد التي حواها هذا التفسير. ( أزويدي، ٢٠٠٨م، ص ٥٨-٦٦).

وأما المعالم العامة لعمل الشيخ محمد أبو زهرة في تفسيره فيمكن تلخيصها في النقاط

التالية:

- كتب لكل سورة مقدمة، عرض في هذه المقدمة موضوعات السورة ومضامينها، وكشف عن أهم الحقائق التي تسجلها السورة.
- يتناول جملة من الآيات متتابعة يربطها موضوع واحد، فيفسرها تفسيراً تحليلياً شاملاً.
- يُعدّ من التفاسير المتوسطة؛ إذ اختصر المؤلف في بعض المواضع وتوسّع في أخرى.

- لم يسر في سرده للمعاني والفوائد ضمن التفسير على ترتيب واحد؛ فأحياناً يُقدّم المعنى العام أو موضوع الآيات ثم يشرع في التفسير، وأحياناً العكس، وقد يُقدّم سبب النزول، ولعل الضابط في ذلك أنه يُقدّم مناسباً في إيضاح معنى الآية.
- ينقل عمّن سبقه من المفسرين بالنصّ أحياناً وبالتلخيص أحياناً مع ذكر المصدر في أكثر الأحيان.
- يشير إلى ما تهدي إليه الآيات وما يستتبط منها من فوائد. (الناصر، ١٤٢٢هـ، ص ١٦٦-١٦٩).

**المبحث الأول: الإعجاز العلمي في خلق الكون وفيه ثلاثة مطالب.**

**المطلب الأول: دلائل الاعجاز العلمي وشروطه عند الشيخ محمد أبو زهرة:**

تعرّض الشيخ محمد أبو زهرة في تفسيره (زهرة التفاسير) إلى تفسير القرآن الكريم بالمعطيات العلمية الحديثة، وإيضاح التطابقات بين المعلومات والإشارات التي يذكرها القرآن الكريم، وتلك الصادرة من اكتشافات العلم الحديث بمختلف نواحيه. ويرى الشيخ محمد أبو زهرة أن القرآن الكريم اتخذ من خلق كل من في الوجود دليلاً على من أنشأه، فكان بمقتضى النهج النوراني لا بد أن الكون وما فيه من خلق عظيم يدل على منشئه وحده سبحانه وتعالى، ولا تكاد تجد سورة من القرآن مكية أو مدنية خلت من ذكر الكون وما يتصل به.

كل هذه الإشارات الإلهية في الخلق والإبداع توجّه نظر الإنسان إلى أنه جزء صغير من هذا الكون؛ وذلك ليتضح له ارتباطه بهذا الكون وليتعرف على أسراره وأحواله، وليعرف هذا الإنسان أنه وهو الصغير قد سخر الله تعالى له هذا الكون الكبير. (أبو زهرة، ١٩٧٠م، ص ٥٤٨).

ومن المعلوم أن ثمة حقائق مذكورة في القرآن الكريم يستبصر بها مريد التعرف على هذا الكون والدراسة له، وهذه الحقائق موجودة على مستويات مختلفة، ففي قضية خلق الكون نوى القرآن الكريم يستعرض في آياته دلائل الإعجاز الإلهي في خلق السموات والأرض وغيرهما مما يشتمل عليه الكون البديع، ومن هنا فإننا نستطيع أن نقسم الإضاءات التي ذكرها الشيخ محمد في تفسيره لهذه الآيات إلى ثلاثة مطالب الأول نذكر فيه شروطه في قبول تفسير القرآن الكريم بنظريات الإعجاز العلمي، والثاني دلائل الإعجاز في خلق السموات والأرض، والثالث دلائل الإعجاز في مظاهر الكون.



وقبل البدء بسرد الآيات التي فسرها الشيخ محمد أبو زهرة في تفسيره بالإعجاز العلمي نتعرض للمنهج والشروط التي اشترطها الشيخ محمد أبو زهرة في تفسير القرآن الكريم بالحقائق العلمية

يرى الشيخ محمد أبو زهرة أن تفسير القرآن بالعلوم الكونية هو أمرٌ قال به القدماء من أهل العلم، وذهبوا إلى جوازه، ومن أبرز هؤلاء الإمام الغزالي، إذ ذكر ذلك في كتابه إحياء علوم الدين.

وأشار الغزالي في كلامه إلى وجود فهمٍ خاص لكتاب الله تعالى، يعلمه الراسخون في العلم، والفهم الظاهري للنص القرآني لا يُغني عن هذا النوع من التفسير للقرآن الكريم بالمعطيات العلمية التي يعرفها أصحاب الاختصاصات العلمية، فقال: "وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسرارهم بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب، ويكون لكل واحد حد في الترقى إلى درجة أعلى منه، فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه، ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله لا نهاية لها، فتتدف الأبحر قبل أن تتدف كلمات الله عز وجل، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه". (الغزالي، (بدون تاريخ)، ١ / ٢٩٣).

يؤيد الشيخ محمد أبو زهرة رأي الغزالي السابق، لكن دون أن يفتح باب التفسير بالإعجاز العلمي على مصراعيه، وفي هذا السبيل يورد الإمام أبو زهرة تساؤلاً أو اعتراضاً على الأخذ بهذا التفسير، فيقول: "وقد يقول قائل: إن الغزالي يشجع تفسير القرآن بالعلوم الكونية، فهل نشجعه كما شجع؟ للإجابة على هذا السؤال نقول: إن ما يكون من آيات القرآن دالاً على حقيقة علمية كما تلونا في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فإنه بلا ريب أن بيان الحقيقة العلمية يكون من بيان القرآن، ويعتمد فيه على كلام أهل الخبرة، وذلك كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنٍ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١١]، فهذه الآيات وأمثالها كثير، ولا بد فيها من الاستعانة بأهل الخبرة، ويقررون في ظلها الحقائق العلمية". (أبو زهرة، ١٣٩٤ هـ، ١ / ٣٧).

أما الشروط التي يشترطها الشيخ محمد أبو زهرة للتفسير بالإعجاز العلمي فهي كما يلي:  
أولهما: ألا تفسر الآيات الكريمت بنظريات وفروض لم يقم الدليل القاطع عليها، وقد تتغير العلوم الكونية بتغير النظريات حولها وقتاً بعد آخر، ولا يصح أن يفسر القرآن بنظريات

قابلة للنقض والتغير، إنه كتاب الله تعالى لا تبديل لكلماته، وهو العزيز الحكيم، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانيهما: ألا يكون الاتجاه إلى تحميل الألفاظ فوق ما تحتمل، فلا تجهد الآيات إجهاداً ليطبقوها على الحقائق أو ليطبقوا الحقائق عليها، بل لا يفكر أهل الخبرة في أسرار الآيات إلا ما يكون ظاهراً واضحاً، ويكون عمل الخبير العلمي تصويرها من غير إجهاد لألفاظها، أو تحميلها ما لا تحتمل، وإن الأخذ بهذا المنهاج السليم فيه بيان للقرآن الكريم، وصيانة له، وبعد به عن مواطن الشبهات. (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ١/ ٣٨).

ومن هذه الشروط يتبين لنا المنهج الذي سلكه الشيخ محمد أبو زهرة في تفسير القرآن بالإعجاز العلمي، وهو أنه يفسّر القرآن الكريم بالإعجاز العلمي إن تجاوزت النظرية العلمية مرحلة الافتراض والتخمين، ولا يُحمّل النص ألفاظاً أو معاني من أجل إيجاد صلة بين النص وبين النظريات العلمية.

المطلب الثاني: دلائل الإعجاز العلمي في خلق السموات والأرض:

سرد الشيخ محمد أبو زهرة في تفسيره مجموعة من الآيات القرآنية وفسرها من خلال معطيات العلم الحديث، فقَبِل ما أنتجته العلوم الحديثة من أفكارٍ ووظفها في تفسير الآيات القرآنية.

أولاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "ولقد جاء النص الكريم بأن الأرض أخذت من السماء، وكانتا رتقاً، أو شيئاً واحداً، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]."

ولقد قال تعالى في بيان خلق السماء والأرض: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وقد يُقال: إنك نفيت الزمان عن أفعال الله تعالى، وقد ذكر سبحانه أنه خلق الأرض في يومين، وأنه جعلها على ما هي عليه في أربعة أيام، وأنه قضى السماوات في يومين، فكيف تنفي الزمان عن خالق الزمان والليل والنهار؟ ونقول في جواب ذلك: إن اليوم ليس هو اليوم الذي نعه بالغروب والشروق بأن تدور الأرض حول الشمس دورة تبتدئ بشروق الشمس، وتنتهي بغروبها



أو العكس، فإن ذلك تقدير نسبي بين الأرض والشمس، وما كانتا قد خلقتا، كما يدل صريح القرآن، إنما اليوم هنا المراد به الدور التكويني.

وإذا أردنا أن نتصور الدور التكويني، فإننا نتصور على ضوء العلم أن الأرض انفصلت عن الكتلة الشمسية التي أشار إليها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْبًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فهذا يوم، أي دور تكويني، هو دور انفصال الأرض عن الكتلة الشمسية.

وعند هذا الانفصال تكونت بإرادة الله تعالى وقدرته القاهرة وإرادته المسيطرة القشرة الأرضية، وهذا هو اليوم الثاني، أو الدور الثاني، وقد بين سبحانه وتعالى، الأدوار الأربعة بعد ذلك. ( أبو زهرة، ١٣٩٤ هـ، ١/١٩٠) و (<http://xxx.lanl.gov/abs> /٣٩١٤.٠٨٠٢).

ويرى أبو زهرة أيضاً في تفسير هذه الآية: أن المراد من السماوات السبع التي سواهن الله تعالى أي خلقهن، أو قسمهن وجعلهن سبعاً متساوية، فمعنى سواهن: قسمهن بالتسوية سبعاً، وهي مجموعات النجوم المتطابقة طبقة بعد طبقة، الواحدة أعلى من الدنيا وهكذا.

وكان الشائع بين علماء الفلك خمساً، لا سبعاً، ولكن بعد عصر القرآن بنحو أربعة عشر قرناً إلا قليلاً كشفوا بآلات الكشف الحديثة نجمين كوكبيين دلاً على أنها سبع، وهي: عطارد، والزهرة، والمريخ، والمشتري، وزحل، وكشف أورانوس ثم نبتون، وكل كوكب في طبقة من السماء، والشمس والقمر ليسا من السبع، وهذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]، فبمقتضى هذا النص تكون الشمس والقمر ليسا من السماوات السبع اللاتي عدهن القرآن الكريم، وإن كانتا في السماء، وتسمى السبع المجموعة الشمسية، والشمس في طبقة أعلى منهن. ( أبو زهرة، ١٣٩٤ هـ، ١/١٨٩).

ولعل العلم الحديث من حيث الكشف الفلكي يوضح الإشارات التي ذكرها الإمام أبو زهرة بأن الكواكب التي اكتشفت عددها سبعة إذا استثنينا منها القمر والشمس، لكن غيره من أهل العلم لم يفسر السماوات السبع على هذا النحو.

هناك البعض الذي فسر بأن السماوات السبع هي الطبقات المتوالية التي تحيط السماء والسماء الأولي من رأيهم هو الهواء، والسماء الثانية هي الغيوم، والسماء الثالثة لا يتعدى القمر، والسماء الرابعة ممتدة وتحتوي على الكواكب جميعها، والسماء الخامسة تحتوي وتمتد حتى الشمس، والسماء السادسة تصل وتمتد إلى النجوم، والسماء السابعة هي الكون بكل ما يحتويه.

ولقد فسّر الطبري بتفسيرات متعددة فذكر أن الله خلق سبع سماوات سماكة كل سماء خمسمائة عام، وبين كل سماء وأخرى خمسمائة عام، وفوق السماوات السبع ماء والله جل ثناؤه

فوق الماء، والأرض كذلك هي سبع وبين كل أرض وأخرى خمسمئة عام، وسماكة الأرض خمسمئة عام. (الطبري، ٢٠٠٠م، ٢٠/١٦٧).

ونقل كذلك "عن الربيع بن أنس، قال: السماء أولها موج مكفوف؛ والثانية صخرة؛ والثالثة حديد؛ والرابعة نحاس؛ والخامسة فضة؛ والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ١/١٨٩).

ونجد عند الماوردي أيضاً روايات أخرى لتفسير معنى السموات السبع، الأمر الذي يدل على أن أول من فسرها بمعنى الكواكب هو الإمام أبو زهرة، فقد نقل الماوردي روايات منها: "أحدهما: أنهم سبع سموات على سبع أرضين، بين كل سماء وأرض خلق، وهذا قول الحسن، والثاني: أنهم سبع سموات طباقاً بعضهن فوق بعض، كالقباب، وهذا قول السدي". (الماوردي، ١٩٩٩م، ٦/١٠٢).

ثانياً: في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال الشيخ محمد أبو زهرة: جعل تُسْتَعْمَل بمعنى صَيَّرَ، وتستعمل بمعنى خَلَقَ، كما قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وتأتي بمعنى سَمَّى، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا﴾ [الزخرف: ١٩] وتأتي بمعنى أخذ واتخذ.

وجعل هنا بمعنى صَيَّرَ لأنها ذات مفعولين، الأول (الأرض) والثاني (فِرَاشًا)، والمعنى جعل الله تعالى الأرض ممهدة معبّدة كأنها فراش يستقر عليه الإنسان، ويجد فيها مقاما ثابتا، وإذا كان فيها نتوء كالجبال فقد جعلها الله تعالى مثبّتا لذلك الفراش، ولذلك قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]، وقد وصفت الأرض بأن الله تعالى جعلها مهاداً، ووصفت بأنه جعلها بساطاً، فهي ممهدة كالفراش وكالبساط، وتلك نعمة من الله تعالى لتسهيل الإقامة عليها، والانتقال بين آفاقها، والهجرة بين أجزائها، وهي للإنسان كالعرصة في مسكنه.

وكون الأرض فراشاً لا ينافي أنها كرة تدور حول الشمس، فإنها لعظمتها وانبساطها تعد فراشاً أو كالفراش، ولا يحس بأنها كرة إلا من تتبّع الليل والنهار والشمس والقمر، والسير فيها من المشرق إلى المغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وما يقرره العلم الاستقرائي المتتبع لما خلق الله سبحانه وتعالى. (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ١/١٥٨) و(النايلسي، ٢٠٠٥م، ٢/٤٩).

يشير الشيخ أبو زهرة في تفسيره السابق إلى كروية الأرض، وهو أمرٌ تضافرت الأدلة العلمية على الاعتقاد والجزم به، ولقد اكتشف علماء الفلك حقيقة أن الأرض كروية الشكل بعد دراسات وبحوث استغرقت عشرات السنين، ولكن قبل أكثر من ١٤٠٠ عام كان للقرآن الكريم السبق





في ذكر هذه الحقيقة، وذلك ما تقتضيه سنة الطبيعة في دورتها الرتيبة المنتظمة، وما تقتضيه عجلة الكون المتحرك الدقيق، ولو لم تكن الأرض على هذا النحو من الاستدارة لتعطلت نواميس الخلق على هذا الكوكب.

ومن المعلوم أن أجزاء الأرض تتفاوت فيما بينها من حيث إقبال النهار بضيائه أو حلول الليل بسواده فبينما تزهو بقاع من الأرض بضيء الشمس، تسكن بقاع أخرى من الأرض بعد أن أرقدها الليل بظلامه، وذلك كله لا يقع بالتعاقب ولكنه واقع في نفس الآن، مما يدل على أن الأرض كروية استناداً إلى الظاهر من دلالة النص القرآني ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، والدليل كذلك على كروية الأرض قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥]

وأشار الفخر الرازي إلى هذا المعنى بقوله: "وقوله كل يجري لأجل مسمى الأجل المسمى يوم القيامة لا يزالان يجريان إلى هذا اليوم فإذا كان يوم القيامة ذهباً، ونظيره قوله تعالى ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة ٩] والمراد من هذا التسخير أن هذه الأفلاك تدور كدوران المجنون على حد واحد إلى يوم القيامة وعنده تطوى السماء كطي السجل للكتب". (الرازي، ٢٠٠٠م، ٢٦/٢١٣) ثالثاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "وفى الحق، إن هذه الآيات تدعو إلى التدبر والتفكير في هذا الكون العظيم، وصانعه الحكيم، ومبدعه ومنشئه من العدم، والآيات: الأمارات الواضحة الدالة على قدرة الصانع وسلطانه وكمال حكمته، واختلاف الليل والنهار هو تعاقبهما، مع تخالف مظاهرهما، فهذا نور ساطع، وذلك ظلام حالك، وفي النهار الشمس التي تمد الأرض بحرارتها وأشعتها، وبها يحيا النبات ويحيا الإنسان، وفي الليل النجوم الزاهرة، والقمر الباهر، وأولو الألباب هم أهل العقول المدركة التي تنفذ إلى لب الأشياء، ولا تكتفي بظواهرها، وما أحسن ما قاله الزمخشري في وصف أولي الألباب: الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عن عجائب الفطرة، وفي النصائح الصغار: املاً عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلهما في جملة هذه العجائب، متفكراً في قدرة مقدرها متدبراً في حكمة مدبرها، قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر (الزمخشري، ١٩٩٨م، ١/٣٦١)، وليس كل أولي الألباب يفهمون الآيات، بل لابد من قلب خاشع، وعقل متفكر". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٣/١٥٤٥).

ولقد أورد الإمام ابن عاشور أنه قيل لأُمِّ الدرداء: ما كان شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكير، قيل له: أترى التفكير عملاً من الأعمال؟ قال: "نعم، هو اليقين". ( ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١٩٧/٤ ).

رابعاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "وفي هذه الآيات فصل نعمته على مخلوقاته وكيف هي مسخرة لهم، فجعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، جعل الشمس ذاتها ضياءً، فكتلة كلها ضوء، ويقول بعض المفسرين: ذات ضياءً، ونحن نقول: إن الشمس ذاتها ضياءً، والقمر نور، أي ذا نور، وقلنا في القمر نو نور، لأن ضياءه ليس من ذاته إنما هو من توسطه بين الأرض والشمس، ونوره عرضي وليس ذاته نوراً كالشمس في أن ذاتها ضياءً، ولقد أدرك هذا بعض المفسرين الأقدمين الذين لم يعنوا بدراسة الأجرام السماوية.

فقد قال البيضاوي: أنه سُمي "نوراً" للقمر للمبالغة، فهو أعم من الضوء، وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، وقد بينه سبحانه وتعالى بذلك أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكستاب منها (البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٤/٣)، وهذا ما يقرره علماء الكون، وفي الواقع أن ضياء الشمس حقيقي، فهي كالمصباح والنور ينبثق منه، والقمر لا ضياء فيه وإنما نوره نسبي في انعكاس ضوء الشمس عليه، ولذا كان له منازل". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٣٥١٧/٤ ).

المطلب الثالث: دلائل الإعجاز في مظاهر الكون

أولاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣]

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "وقد شبّه السحاب المترام الذي يعلو طبقةً فوق طبقةً بالجبال لكمال تماسكها وتراكمها، وعلوها حتى صارت كالجبال في منظرها، وما ركبت الطائرة التي تحلق ونظرت السحاب المترام حتى حسبته جبلاً، أو جبلاً، وإذا كان محمد ﷺ لم يركب طائرة تمر فوق السحاب، فيكون هذا من دلائل إعجاز القرآن، وأنه لم يكن من عند أحد من البشر.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ بَرَدٍ﴾ أي وينزل من الجبال التي تشبهها السحاب، أي ينزل من السحاب بعض البرد الذي فيها، والبرد هو كما قال الراغب في المفردات، والبرد ما يبرد من المطر في الهواء فيصلب، وبرد السحاب اختص بالذكر، وهذا قريب مما يقوله علماء الطبيعة من



أن الماء يتبخر، فيكون سحاباً، ثم يتكون من السحاب قطع صلبة هي البرد". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ١٠ ص ٥٢٠٥).

ولقد أشار الشيخ (وهبة الزحيلي) - وهو تلميذ الإمام أبي زهرة - إلى هذا المعنى المرتبط بالاكشاف أو التحليل العلمي لتكوّن البرد، فقال: "والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت، ولم تحلّها حرارة، فبلغت الطبقة الباردة من الهواء، وقوي البرد هناك، اجتمع وصار سحاباً، فإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً، وإن اشتد البرد، فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً، وإلا نزل برداً، وكل ذلك لا بد وأن يستند إلى إرادة الله الحكيم". (الزحيلي، ١٤٠٨هـ، ١٨/٢٦٢).

ثانياً: في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "الصاعقة) فسرها بعض العلماء بأنها النار التي تنزل، وهي التي يقرر علماء الكون أنها تنشأ من احتكاك سحابة موجبة بأخرى سالبة، فيتكون من احتكاكهما ذلك اللهب، وأنها أصابت هؤلاء فَبُهتُوا لها، فغشيهم من الذهول ما غشيهم حتى صاروا كالموتى من عظم الإغماء الذين أصابهم". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٤/١٩٤٣) و(<https://ar.wikipedia.org/wiki>).

ولقد أشار إلى تفسير الصواعق بهذا المعنى أيضاً عددٌ من المفسرين المعاصرين، كالشيخ وهبة الزحيلي الذي قال: "الصَّوَاعِقُ جمع صاعقة وهي التي تحدث بسبب الاحتكاك الكهربائي بين كهربية السحب وكهربية الأرض عند تقارب السحب من الأرض، فتنشأ عنه صاعقة تحرق ما تقع عليه". (الزحيلي، ١٤٠٨هـ، ١٣/١٢٩-١٣٠).

وكذا ذكر الشيخ محمد سيد طنطاوي في تفسيره فقال: "جمع صاعقة من الصعق وهو شدة الصوت الذي يصحبه - غالباً - قطعة من نار لا تأتي على شيء إلا أهلكته". (طنطاوي، ١٩٨٧م، ١/٣٤).

وقال في موضع آخر: "الصاعقة هي الصوت الشديد في الجو، ثم يكون منه نار فقط، أو عذاب، أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد، وهذه الأشياء تأثيرات منها، ويبدو أن المراد بالصاعقة هنا: ذلك الصوت الشديد المجلجل المزلزل المصحوب بنار هائلة". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ١/١١٢١).

ثالثاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "المعنى أنه لا يغيب ولا يبعد فهو حاضر دائماً مهياً عند الحساب، ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أي وزن ذرة، وهي أصغر جزء لفتات الأشياء، وقد أثبت العلم أن بالذرة

نواة ذات ثقل والله تعالى أعلم بما فيها، وقال العلماء: إن في قوتها مجتمعة ومنفردة دليل لقدرة المنشئ لكل شيء في الوجود الفاعل المريد المختار. (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٧/٣٦٠١).

وأشار إلى هذا المعنى أيضاً الشيخ وهبة الزحيلي فقال: "والذرة في العلم الحديث: الجزء الذي لا يتجزأ، ومن الذرات: الهباء: وهو ما يرى في شعاع الشمس الداخل من نافذة". (الزحيلي، ١٤٠٨هـ، ٥/٧٥).

رابعاً: في تفسير قوله تعالى ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "وإن الإنبات في ذاته نعمة؛ لأن الله تعالى فائق الحب والنوى، تنشق من الحبة أو النواة بأمر الله فتخرج بالري عوداً، تجري إلى أعلى فيكون منه سيقان الزرع والشجر، وينشق إلى أسفل فتكون منه العروق والجذور التي تجري في باطن الأرض على امتداد قصير أو طويل على حسب نوع النبات والشجر، والضوء والحرارة يعاونان في تكوين الغصون والأوراق، وإن الزيتون إما أن يراد به الثمرة، أو يراد به الشجرة، وفي كل آيات، ويدرس العلماء إدام الزيتون فيحسب بعض الباحثين أن فيها دواء للسرطان، ولا تزال آيات الله تعالى قائمة في كل خلق، سبحانه وتعالى عما يصفون، وهو الخلاق العليم". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٨/٤١٤٠).

وأشار أيضاً إلى فوائد الزيتون وما يستخلص منه من فوائد ثابتة بالعلم الحديث كثير من المفسرين المعاصرين منهم محمد عبد اللطيف ابن الخطيب، فقال: "الزيتون: مفتت للحصى، مقو للصدر، طارد للبلغم؛ وهذا بعض مزاياه". (الخطيب، ١٩٦٤م، ١/٧٥٥).

يُلاحظ من الأمثلة التي تم سوقها من تفسير (زهرة التفاسير) لأبي زهرة أنه اعتمد في بيان مجموعة من الآيات على معطيات العلوم الحديثة التي تم الوصول إليها، بالاستقراء أو الملاحظة أو التجربة، كعلم الفلك والفيزياء والكيمياء وعلم النبات غيرها، ويتضح اعتماد الإمام بالدرجة الأولى على علم الفلك ومعطياته؛ إذ عموم محاور الحديث الذي تتضمنه الآيات إنما هو الكلام عن خلق السموات والأرض، وي ضمن فروع علم الفلك، وهو علم متطور ذو تقنيات حديثة ووسائل علمية دقيقة، لذا فلعل عموم نظرياته قد خرجت من حيز الافتراض والتخمين إلى حيز القطع واليقين.

وكذلك اعتمد في بعض الأمثلة على معطيات علوم الفيزياء والكيمياء، وعلم النبات ومعطياته، ومعلوم أن هذه العلوم مبنية على دراسات علمية دقيقة، ونتائجها حتمية، لذا فهي مقبولة في تفسير القرآن الكريم.



## المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في النفس الإنسانية وفيه ثلاثة مطالب. المطلب الأول دلائل الإعجاز العلمي في غذاء الإنسان وطبيعته الجينية:

تضمّن القرآن الكريم كثيراً من الإشارات إلى الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان وما أباح له من غذاء مفيد وما منعه عنه من طعام وشراب يضرّ به، وكذا تضمّنت آيات القرآن إشارةً إلى أحوال النفس الإنسانية وما يرتبط بها من أحوال وأمزجة.

أما الإمام أبو زهرة فإنه في تفسيره للقرآن الكريم بالإعجاز العلمي لم يتعرّض - في حدود ما رأيت - إلى الإعجاز الإلهي في تكوين الإنسان، إنما فسّر بالإعجاز العلمي آياتٍ عديدة تشير إلى المحرّمات من النساء وكذا أحكام الرضاعة وما يُباح ويُمْنَع على الإنسان من طعام وشراب وكذا الأحوال التي تعتري النفس الإنسانية.

وربما لأن الإمام لم يتعرّض لتفسير الآيات القرآنية التي تشير إلى تكوين الإنسان بالإعجاز العلمي لأنها برأيه لم تصل إلى درجة القطع واليقين التي اشتراطها في قبول التفسيرات بالإعجاز العلمي، وهذا افتراض لا أكثر.

أولاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِئَ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "وإن هذا الوجوب الذي أوجبه القرآن الكريم على الوالدة يدل على مقدار عناية الإسلام بالرضاعة، ومقدار عنايته بتربية الأطفال، وتغذيتهم، وعنايته بأجسامهم، وسلامة دمهم، فإن لبن الأم هو الغذاء الطبيعي لولدها، ينمو بنموه، ويسير من حيث كم الغذاء مع تقدم سن الطفل شهراً بعد شهر، وهو غذاؤه في بطن أمه، فيكون هو غذاءه بعد ولادته، وإن تعرض الطفل للمرضع يعرضه للأدواء الوراثية تنتقل إليه، بل يعرضه للأدواء النفسية والعقلية تؤثر فيه، فإن المرضع تحمل إليه مع اللبن ما في جسمها من عيوب وراثية، وما في نفسها وعقلها من عيوب أيضاً، وقد أثبتت التجربة أن العيوب النفسية في المرضع تسري إلى من أرضعته، وتنتشر بها نفسه، بل تتكون منها طباعه، كما تكون من لبنها جسمه". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٢/ ٨٠٧).

ولقد أثبتت الفحوص الحديثة لحليب الأم والتي أجراها المعهد الأمريكي الوطني الصحي والمكتبة الأمريكية الوطنية للطب أن حليب الأم مصدراً غنياً بالخلايا المكوّنة من الخلايا الجذعية في مراحل تطورها المبكرة، إضافة إلى الخلايا المورثة الجينية والتي تحمل معها الفروقات المورثة، إلا أن فعالية هذه الخلايا وارتباطها بالخصائص الجينية للأم المرضع وطفلها مازالت غير مفهومة بالشكل الكافي، وأنه يمكن انتقال جينات المرأة المرضعة لغير أطفالها عن طريق الرضاعة، حيث أثبتت الدراسات أن الطفل الرضيع يكتسب بعض الصفات الوراثية عبر حليب المرأة المرضعة،

حيث أن الحليب لا يوفر فقد مادة غذائية للطفل، بل أيضاً معلومات وراثية لتركيب الحمض النووي مرة أخرى. ( <https://www.hiamag.com> ).

ثانياً: في تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ [النساء: ٢٣].

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "وإن هؤلاء المحرمات قد ثبت تحريمهن في الشرائع السماوية كلها؛ لأن تحريمهن مشتق من الفطرة، وفي الزواج بهن إيجاد نسل غير قوي، لأن التجارب العلمية أثبتت أن التلاقح بين سلاسل مختلفة الأرومة ينتج نسلًا قويا، والتلاقح بين حيوانات متحدة الأرومة ينتج نسلًا ضعيفاً، وعلى ذلك يكون التزاوج بين القرابة القريبة منتجاً نسلًا ضعيفاً، ولقد ضعف آل السائب؛ لأنهم كانوا لا يتزاوجون إلا فيما بينهم، فقال لهم الإمام عمر: (قد أضويتم يا آل السائب فانكحوا النوايح)، وإن الزواج من القرابة القريبة يفسد علاقة القرابة والعواطف الشريفة التي تربط بينهم، فعلاقة الأمومة والبنوة والأخوة والعمومة والخوولة يفسدها الزواج بما يكون بين الزوجين من مباسطات أو منافرات أحياناً، والحياة الزوجية على القبض والبسط، والرضا والسخط، والمداعبة والهجر أحياناً، وكل ذلك يفسد القرابة". (أبو زهرة، ١٣٩٤ هـ، ٣/١٦٣٠).

وبعض الدراسات والأبحاث أثبتت زيادة معدل خطر الإصابة ببعض الأمراض وزيادة معدلات الوفيات بنسبة ٣ إلى ٤ % في حالات الزواج من الأقارب، كذلك هناك عدد من الأمراض الوراثية الناتجة عن زواج الأقارب، إذ تزداد احتمالية إصابة الأطفال بأمراض مزاجية مثل القلق والاكتئاب وتفوق احتمالية الإصابة بهذه الأمراض عن الأطفال من آباء ليسوا بأقارب بثلاثة أضعاف، وتزداد أيضاً احتمالية ظهور الأمراض النادرة لدى الأطفال من آباء أقارب، كذلك تختلف خطورة الإصابة بالأمراض باختلاف درجة القرابة، فاحتمالية الإصابة بالأمراض الوراثية الناتجة عن زواج الأقارب من الدرجة الأولى أكثر من الدرجة الثانية، لارتفاع الجينات المشتركة ونسبة الحمض النووي.

تعد احتمالية ولادة طفل بعيب خلقي ٢ إلى ٣ في المئة في الحالات الطبيعية، بينما تزداد تلك النسبة لتصل إلى ٤ إلى ٦ في المئة للأطفال عندما يكون آباؤهم من الأقارب، ومن أمثلة هذه الأمراض: اضطراب نقص المناعة، ارتفاع ضغط الدم عند الأطفال، متلازمة داون، نقص البروتين سي و إس، نيميا البحر المتوسط أو الثلاسيميا، انخفاض وزن المولود. <https://altibbi.com>



## المطلب الثاني: دلائل الإعجاز العلمي في غذاء الإنسان:

أولاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ تَعَالَى: ۞﴾: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْنَا مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِّ وَاللَّحْمِ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "ولحم الخنزير ذكر الله تعالى في القرآن أنه رجس أي قدر يحتوي على كل ما يضر البنية الإنسانية، وقد ثبت بالتجربة أنه أثقل طعام على المعدة، والمعدة بيت الداء، وثبت أنه يحوي من الديدان ما يضر الجسم، وأنه يحدث فقد الشهوة، ويوجد أعراضاً عصبية، ويظن كثيرون أنه مورد من موارد داء السرطان العضال". ( أبو زهرة، ١٣٩٤ هـ، ٥٠٩/١).

ويُعَدُّ الخنزير عائلاً وسيطاً للعديد من الأمراض التي تنتقل منه إلى الإنسان والحيوان، إذ يتوفّر جسمه على كثيرٍ من المستقبلات لكثيرٍ من أنواع الفيروسات التي تتحوّر داخله في صورة جديدة شديدة الضراوة تصيب الإنسان، فقد أثبتت الأبحاث العلمية والطبية أن لحم الخنزير به من الأضرار ما يجعل الإنسان يأنف من أكله، ولم يكتشف العلم الحديث بعض الأضرار التي يسببها أكل لحم الخنزير إلا منذ مطلع القرن التاسع عشر، ومن جملة هذه المخاطر الأمراض الطفيلية، كالودودة الشريطية، والودودة الخطافية، والديدان المستديرة، وكثيرٍ من الأمراض الجرثومية، كداء الكلب والسل والحمى القلاعية والالتهاب السحائي وتسمم الدم والحمرة الخنزيرية، وغيرها كثير من الأمراض التي يضيق المقام بسردها. (البشير، ٢٠١٥م، ص ٣٠٥-٣٠٩).

ثانياً: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "هذا النص السامي فيه تسجيل لرحمة الله تعالى، ولغفرانه في الدنيا والآخرة ما يرتكب إن كان بقصد حفظ النفس من التلف، وكان من غفرانه أن رفع الإثم وسببه قائم عن المضطر إلى أكل المحرمات، وكان من رحمته أن أباح هذه الطيبات، وإن حرم الخبائث، فتحريم الخبائث لأضرارها، وإباحة الطيبات لنفعها من رحمته سبحانه، إذ إن الشريعة الغراء قامت على جلب ما هو نافع ودفع ما هو ضار، وكان من رحمته جلّت قدرته أن رفع الإثم عند الاضطرار.

وقبل أن ننقل إلى آياته البيّنات نقرر أمرين، أولهما: ما قرره بعض العلماء ذوي النظر الثاقب أن الجوع الشديد يجعل الجسم يستطيع تناول هذه الخبائث الضارة إذ الجوع يذهب بأضرارها، أو لا يجعلها تؤثر بالأذى في الجسم ما دام لا يتعدى حد الضرورة، فإن تعدها كان الضرر المؤكد من هذه الخبائث، الثاني: إن هذه المحرمات إنما هي في حيوانات البر والنعم كما قررنا، أما صيد البحر فإنه حلال كما قال تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ

وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَمٍ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ﴿ [المائدة: ٩٦]، جعل الله طعامنا حلالاً طيباً،  
وهنيئاً مريئاً". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، 1/511)

ثالثاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ  
لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "هذه إشارة إلى مضار الخمر المعنوية والاجتماعية، أما  
مضارها الجسمية، فيكاد العلم الحديث يثبت أنه لا شيء يدخل الجسم أضر عليه من الخمر،  
فهي تأكل الكبد وتضخمه، وتفسد الكلية، وتضعف أنسجة الجسم وتتهك الأعضاء الداخلية  
العاملة، وتقعد الشهية للطعام، وتفسد المعدة وتحدث تصلباً في الشرايين وتمتدداً فيها، وأحياناً  
يموت السكير فجأة لهذا الداء، والخمر تضعف الحنجرة، وشعب التنفس، وتكثر السعال.

وقد أثبت التحليل الطبي أن الجسم لا يستفيد منها أية فائدة، فإنها وإن كانت فيها مواد  
غذائية، يذهب السم الذي صاحبها بفائدتها فهي في جملتها عقاقير سامة، وما يحدث من نشاط  
في الجسم ونشوة عند شربها سببه أنها مواد غريبة على المزاج الجسمي، فعناصر الجسم تقاومها  
وتدافعها وبهذه المقاومة والمدافعة يتولد الإحساس بالنشاط، وإذا كانت الخمر في أحيان قليلة تقي  
من بعض الأمراض التي لا خطر منها، فالضرر الناشئ عنها أشد من الأضرار الناشئة عما  
تدفعه". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٧٠٥/٢).

ولقد أثبت العلم الحديث أن شرب الخمر يؤدي إلى الإصابة بالعديد من المشاكل الصحية  
والأمراض المزمنة، بل ويؤثر على سلوكيات الفرد، وعلاقاته الاجتماعية، وأدائه التعليمي أو  
الوظيفي، تجدر الإشارة إلى أن الكحول يتسبب في وفاة ٣ ملايين شخص سنوياً حول العالم،  
وفقاً لإحصائيات منظمة الصحة العالمية، لا تقتصر أضرار الكحول على إيذاء الشخص لنفسه  
بالآثار الصحية والتعرض للإصابات والحوادث، بل قد يمتد الضرر لمن حوله بسلوكياته العدوانية  
والمتهورة التي تؤذيهم وتتعدى على حقوقهم.

وثبت بالعلم الحديث أيضاً أن للخمر أضراراً على الجهاز العصبي والقلب والأوعية  
الدموية والجهاز الهضمي ووظائف الكلى، وكثيراً من الأضرار التي يضيق المقام بسردها.  
(الدوسري، ١٤٣٠هـ، ص ٩-١٧).

رابعاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل]:

[٦٦]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "و(من) للابتداء، أي تكون بين فرث ودم، والفرث فضلات  
الطعام، وقد قال ابن عباس: إن الدابة تأكل العلف فإذا استقر في كرشها طبخته، فكان أسفلها  
فرثاً، وأوسطه لبناً وأعلاه دماً، وهذا معناه أنه في الوسط بينهما اللبن، وقد يكون ذلك التفسير من





الناحية العلمية مقرباً، ذلك أن أكل البهائم يهضم، ثم يتمثل جزء منه في الدم، وجزء ينزل لبنا  
دراً". ( أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٨/٤٢١٠).

ولقد أشار الإمام ابن عاشور في تفسيره إلى المعنى الإعجازي، فقال: " ولما كان اللبن  
يحصل في الضرع لا في البطن جعل مفعولاً ل نسقيكم، وجعل مما في بطونه تبييناً لمصدره لا  
لمورده، فليس اللبن مما في البطن ولذلك كان مما في بطونه متقدماً في الذكر ليظهر أنه متعلق  
بفعل نسقيكم وليس وصفاً للبن، وقد أحاط بالأوصاف التي ذكرناها للبن قوله تعالى: خالصاً  
سائغاً للشاربين، فخلوصه نزاهته مما اشتمل عليه البول والنقل، وسوغه للشاربين سلامته مما  
يشتمل عليه الدم من المضار لمن شربه، فذلك لا يسيغه الشارب ويتجهمه، وهذا الوصف  
العجيب من معجزات القرآن العلمية، إذ هو وصف لم يكن لأحد من العرب يومئذ أن يعرف  
دقائق تكوينه، ولا أن يأتي على وصفه بما لو وصف به العالم الطبيعي لم يصفه بأوجز من هذا  
وأجمع". ( ابن عاشور، ١٩٨٤م، ١٤ ص ٢٠١).

#### المطلب الثالث: دلائل الإعجاز العلمي في أحوال النفس الإنسانية وما يعترها:

أولاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ  
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "الكشاف يقصر تلك الحال التي صورها التمثيل على الآخرة،  
وإنني أرى أنه يصور حالهم في الدنيا والآخرة؛ فهم في الدنيا في قلق مستمر، وفي الآخرة تتقلهم  
سيئاتهم فيتخبطون، وكأنهم المصروعون، ولا عجب في أن تكون تلك حالهم في الدنيا، فالربويون  
أكثر الناس تعرضاً للأزمات القلبية، كما يعرضون الجماعات للأزمات الاقتصادية؛ ولقد قرر  
الأطباء أن نسبة ضغط الدم، وتصلب الشرايين، والشلل والذبحة الصدرية عند الربويين أضعافها  
عند غيرهم، وما علمت ربوياً مات إلا سبقه الشلل أو أخواته قبل أن يجيء إليه الموت ليستقبل  
نار جهنم؛ وذلك لأنهم ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:  
٢٧٥]، والله أصدق القائلين". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٢/١٠٤٤).

ويمكن هنا أن نشير إلى الكلام الذي قرره المرحوم الدكتور (عبد العزيز إسماعيل) في  
كتابه (الإسلام والطب الحديث) وهو عميد الطب الباطني في عصره من أن الربا هو السبب في  
كثرة أمراض القلب، ويكون من أعراضه ارتفاع ضغط الدم المستمر أو الذبحة الصدرية أو  
الجلطة الدموية أو النزيف بالمش أو الموت المفاجئ. ( أبو زهرة، ١٩٩٩م، ص ١٥).

ثانياً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "وقوله تعالى: (حَتَّى تَغْتَسِلُوا) بيان لغاية المنع بالنسبة  
للجنب، فكما أن المخ بالنسبة لمن هو في حال سكر هو أن يعلم ما يقول، فكذلك النهي لمن هو

في حال جنابة نهايته هو الاغتسال، والاعغتسال تعميم الجسم كله بالماء، وإن الاغتسال بعد الجنابة طهارة حسية، ونفسية، وتعويض بدني، وإنعاش للأعصاب بعد أن أنهكت أو أجهدت، وإن الطهارة النفسية بالاغتسال لما في الاغتسال والاستعداد به للصلاة من تذكّر الله تعالى وقت أن استحكمت الشهوة وتحكمت ونفذت، فتخلص نفسه من المادية التي كانت فيها وسيطرت عليها، وإذا تذكّر الله طلب الولد والنسل والذرية الطيبة من زوجه الطاهرة. وأما الإنعاش للأعصاب، والتعويض البدني، فإن هذين الأمرين يؤيدهما الحس والتجربة، ولا ينكرهما الطب". (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٤/١٦٩٣).

ولقد أثبت الطب الحديث أن الجماع وقذف المنى يؤدي إلى فتور وارتخاء يعلل طبيباً بوهن شديد في الجملة العصبية عند وصول شريكي الجماع إلى اللذة والقذف، ويحصل توسع في الأوعية الدموية المحيطة، مما يؤدي بصاحبه إلى فقدان قسط كبير من نشاطه العضلي والفكري. وإن الاغتسال عندها ينبه الشبكات العصبية الحسية لتوقظ الجهاز العصبي من سباته وليسترجع بذلك حيويته ونشاطه، كما ينشط الدوران الدموي، ويعيد توازنه. كما يتسبب عن اللقاء الجنسي وهن نفسي، ورغبة في النوم، وعملية الغسل تقيد بتنشيط الجسم والروح، وإن الجلد أثناء عملية القذف يفرز من خلال مساماته عرقاً ذو تركيز عالٍ بسمومه، ويمكن أن يعود فيمتصها ويتأذى بذلك، والاعغتسال إجراء طبي حاسم لتطهير الجلد ومساماته من هذه السموم. (سفيان، ١٤١٨هـ، ص ٢٠٠)

ثالثاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]:

قال الشيخ محمد أبو زهرة: "والنوم معروف، وهو حقيقة ترى، كما يرى الضوء، وكما تحس الحرارة، ولكن ما سببه؛ وقد اتفق المتقدمون والمتأخرون على أن سببه التعب الجسمي، وإن كانت عباراتهم مختلفة في تأثير التعب على الجسم حتى يكون منه النوم، فيقول البيضاوي في تفسيره: (النوم حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة، بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً) (البيضاوي، (بدون تاريخ)، ١/٢٨٦)، وقال علماء العصر: (إن النوم وقوف سلطان المخ على الأعضاء بسبب ما تولده الحركة من السموم الغازية المؤثرة في العصب)، وقيل بسبب ما تفرزه الحويصلات العصبية من الماء الكثير وقت العمل، فكثرة هذا الماء تضعف قوة تأثير المخ في العضلات، فيحدث الفتور، فيكون النوم، ويستمر ذلك إلى أن يتبخر ذلك الماء، وعند ذلك تنتبه الأعصاب ويرجع إليها تأثيرها وإدراكها" (أبو زهرة، ١٣٩٤هـ، ٢/٩٣٥).

وهذا التحليل يؤكد العلم الحديث في تفسير سبب النوم والنعاس كما هو معلوم من الأبحاث الطبية التي بحثت أسباب النوم وبواعثه وأسبابه ووظائف الجسم التي تحصل أثناءه.



اتضح من الأمثلة المساقاة في المطالب السابقة كيف أن الشيخ محمد أبو زهرة قد اعتمد على مقدّمات العلوم التجريبية في ميدان النفس الإنسانية وأحوالها وما يصلح لها من غذاء أباحه الله تعالى وما يضرّها من طعام أو شراب حرّمه الله تعالى على الإنسان، ووظّفها في بيان المعنى القرآني.

وكذلك استطاع الشيخ محمد أبو زهرة أن يستفيد من معطيات علم الطب وفروعه التي تدرس جسم الإنسان وتكوينه الجسدي والنفسي، ووظف المعطيات المتعلقة بهذه الفنون أيضاً في تفسير القرآن الكريم.

وطبقاً للشروط التي اشترطها الشيخ أبو زهرة في تفسير القرآن بالعلوم التجريبية والذي ينتج عنه الإعجاز العلمي فإن المعطيات العلمية التي ذكرها في المواضع السابقة وأبرز بعض معاني الآيات من خلالها فإنها تكون قد وصلت إلى مرحلة القطع واليقين، وخرجت من طور الشك والافتراض.

#### الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة في ثنايا تفسير أبي زهرة (زهرة التفاسير) وتوظيفه للمعطيات العلمية في تفسير بعض آيات القرآنية بالإعجاز العلمي نصل إلى النتائج الآتية:

1. وافق الشيخ محمد أبو زهرة مذهب الإمام الغزالي الذي يرى وجود آيات يعلم تفسيرها أهل العلوم والاختصاص، ولا يكفي التفسير الظاهري لفهم معناها.
2. جاء تأييد الشيخ أبو زهرة رأي الغزالي في سياق وجود آيات يمكن تفسيرها بالإعجاز العلمي.
3. انتهج الشيخ أبو زهرة لقبول التفسير بالإعجاز العلمي نهجاً يقوم على اشتراط أن تكون النظرية التي تُفسّر بها الآيات قد خرجت من حيز الظن إلى اليقين، وأن لا تُحمّل النصوص ألفاظاً لا تحتلها.
4. كان السبب الداعي إلى ما اشترطه الشيخ أبو زهرة أن لا يُفسّر القرآن بنظريات يرتبط فهمه بها ثم يتبين خطأها، فينسحب الخطأ على القرآن الكريم.
5. استفاد الشيخ محمد أبو زهرة في تفسيره للآيات التي تحتوي على إشارات علمية إعجازية من معطيات العلوم التطبيقية كعلم الفلك والفيزياء والطب وغيرها.
6. جاءت عموم المحاور التي استخدمها الشيخ محمد فيها أسلوب التفسير بالإعجاز العلمي منضوية ضمن محورين هما (خلق الكون) و(خلق النفس الإنسانية).
7. لم يتعرّض الشيخ أبو زهرة لتفسير الآيات التي تتحدث عن تكوين الإنسان وخلقها بأسلوب التفسير بالإعجاز العلمي، وربما يكون السبب أن القواعد والنظريات بهذا الخصوص لم تصل بعد إلى مرحلة القطع واليقين التي اشترطها الشيخ محمد أبو زهرة.

## المراجع:

- ابن الخطيب، محمد عبد اللطيف. (١٩٦٤م). أوضح التفسير. المطبعة المصرية.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد. (١٣٢٢هـ). رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار). المطبعة الخيرية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى. ١٣٩٤هـ. زهرة التفسير. دار الفكر العربي.
- أبو زهرة، محمد. (١٩٧٠م). المعجزة الكبرى (القرآن). دار الفكر العربي.
- أبو زهرة، محمد. (١٩٧٩م). خاتم النبيين. المكتبة العصرية. بيروت.
- أبو زهرة، محمد. (١٩٩٩م). بحوث في الربا. دار الفكر العربي. مصر.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. (تاريخ غير محدد). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- البيومي، محمد رجب. (١٩٩٥م). النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين. دار القلم. دمشق.
- الدوسري، عبد الرحمن. (تاريخ غير محدد). من أضرار الخمر والميسر. دار ابن خزيمة.
- الرازي، محمد بن عمر. (٢٠٠٠م). مفاتيح الغيب. دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزحيلي، وهبة. (١٤٤٨هـ). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دار الفكر المعاصر. دمشق.
- زقزوق، محمود. (٢٠٠٤م). موسوعة أعلام الفكر الإسلامي. وزارة الأوقاف/المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (١٩٩٨م). الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. مكتبة العبيكان.
- زويدي، أمل. (٢٠٠٨م). محمد أبو زهرة ومنهجه في تفسيره (زهرة التفسير). رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في قسم علوم القرآن، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، بغداد.
- سرحان، نادي واليشير، حسن. (٢٠١٥). مخاطر الخنزير وأهم استخداماته المعاصرة. مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد ١١.
- سفيان، عبد السلام. (١٤١٨هـ). الجنابة وأحكامها في العبادات. رسالة أُعدت لنيل درجة الماجستير في الفقه الإسلامي. جامعة أم القرى.
- شبير، محمد عثمان. (٢٠٠٦م). علماء ومفكرون معاصرون (محمد أبو زهرة). دار القلم، دمشق.
- الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن. مؤسسة الرسالة.
- طنطاوي، محمد سيّد. (١٩٨٧م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. دار الرسالة.
- عبد الرزاق، أبو بكر. (١٩٨٥م). قمم إسلامية (أبو زهرة في رأي علماء العصر). دار الاعتصام، القاهرة.
- العقيل، عبد الله. (٢٠٠٢م). من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
- الماوردي، علي بن محمد. (تاريخ غير محدد). النكت والعيون. دار الكتب العلمية، بيروت.
- الناقلي، محمد راتب الناقلي. (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م). موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة. دار المكتبي، دمشق.
- الناصر، فهد. (١٤٢٢هـ). منهج الشيخ (محمد أبو زهرة) في التفسير. رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التفسير والحديث. كلية التربية. جامعة الملك سعود.



## Reference

- Abd al-Razzaq, Abu Bakr. (1985 CE). Islamic Summits (Abu Zahra in the Opinion of Contemporary Scholars). Dar al-I'tisam, Cairo.
- Abu Zahra, Muhammad bin Ahmad bin Mustafa. (no date). The Blossom of Interpretations. Dar al-Fikr al-Arabi.
- Abu Zahra, Muhammad. (1970 CE). The Great Miracle (The Quran). Dar al-Fikr al-Arabi.
- Abu Zahra, Muhammad. (1979 CE). The Seal of the Prophets. Al-Asriyya Library, Beirut.
- Abu Zahra, Muhammad. (1999 CE). Research in Usury. Dar al-Fikr al-Arabi, Egypt.
- Al-Aqeel, Abdullah. (2002 CE). Figures in Contemporary Islamic Movement and Call. Dar al-Tawzi' wa al-Nashr al-Islamiyya, Cairo.
- Al-Baydawi, Abdullah bin Umar. (no date). Lights of Revelation and Secrets of Interpretation. Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut.
- Al-Bayoumi, Muhammad Rajab. (1995 CE). The Islamic Renaissance in the Lives of Its Contemporary Figures. Dar al-Qalam, Damascus.
- Al-Dosari, Abdul Rahman. (no date). The Harms of Alcohol and Gambling. Dar Ibn Khuzaimah.
- Al-Mawardi, Ali bin Muhammad. (no date). The Points and Eyes. Dar al-Kutub al-'Ilmiyah, Beirut.
- Al-Nabulsi, Muhammad Rateb al-Nabulsi. (1426 AH - 2005 CE). Encyclopedia of Scientific Miracles in the Quran and Sunnah. Dar al-Maktabi, Damascus.
- Al-Nasser, Fahd. (1422 AH). The Methodology of Sheikh (Muhammad Abu Zahra) in Interpretation. Master's thesis in Tafsir and Hadith, College of Education, King Saud University.
- Al-Razi, Muhammad bin Omar. (2000 CE). Keys to the Unseen. Dar al-Kutub al-'Ilmiyah, Beirut.
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir. (2000 CE). Jami' al-Bayan in the Interpretation of the Quran. Al-Resalah Foundation.
- Al-Zamakhshari, Mahmud bin Omar. (1998 CE). Al-Kashaf: Annotated on the Complexities of Revelation and Insights into Various Interpretations. Al-Obaikan Library.
- Al-Zuhayli, Wahba. (148 AH). The Enlightened Interpretation in Creed, Law, and Methodology. Dar al-Fikr al-Mu'asir, Damascus.



- Ibn Al-Khatib, Muhammad Abd al-Latif. (1964 CE). The Clearest Interpretations. Egyptian Press.
- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1984 CE). The Liberation and Enlightenment. Tunisian Publishing House.
- Ibn Battuta, Muhammad ibn Abd. (1322 AH). The Journey of Ibn Battuta (A Gift to Those Who Contemplate the Wonders of Cities and the Marvels of Traveling). Al-Khairiya Press.
- Sarhan, Nadi, and Al-Bashir, Hassan. (2015). The Dangers of Pigs and Their Contemporary Uses. Journal of Madinah International University, Issue 11.
- Shabeer, Muhammad Usman. (2006 CE). Contemporary Scholars and Thinkers (Muhammad Abu Zahra). Dar al-Qalam, Damascus.
- Sufyan, Abdul Salam. (1418 AH). Major Impurity and Its Rulings in Worship. Master's thesis in Islamic Jurisprudence, Umm Al-Qura University.
- Tantawi, Muhammad Sayyid. (1987 CE). The Medium Interpretation of the Holy Quran. Dar al-Resalah.
- Zagzoug, Mahmoud. (2004 CE). Encyclopedia of Figures in Islamic Thought. Ministry of Awqaf and Supreme Council of Islamic Affairs, Cairo.
- Zuwaidi, Amal. (2008 CE). Muhammad Abu Zahra and His Methodology in His Interpretation (The Blossom of Interpretations). Master's thesis, Department of Quranic Sciences, Faculty of Arts, Islamic University, Baghdad.